فصل

فى تحريفهم وزيادتهم فى حديث : « كان اللّه ولم يكن شئ قبله »

ومن أعظم الأصول التى يعتمدها هؤلاء الاتحادية الملاحدة ، المدعون للتحقيق والعرفان ، ما يأثرونه عن النبى ﷺ قال : « كان اللّه ولا شىء معه ، وهو الآن على ما عليه كان » وهذه الزيادة وهى قوله : « وهو الآن على ما عليه كان » كذب مفترى على رسول اللّه ﷺ اتفق أهل العلم بالحديث على أنه موضوع مختلق ، وليس هو فى شىء من دواوين الحديث ، لا كبارها ولا صغارها . ولا رواه أحد من أهل العلم بإسناد لا صحيح ولا ضعيف ، ولا بإسناد مجهول ، وإنما تكلم بهذه الكلمة بعض متأخرى متكلمة الجهمية . فتلقاه من هؤلاء الذين وصلوا إلى آخر التجهم وهو التعطيل والإلحاد ، ولكن أولئك قد يقولون : كان اللّه ولا مكان ولا زمان ، وهو الآن على ما عليه كان ، فقال هؤلاء : كان اللّه ولا شىء معه ، وهو الآن على ما عليه كان ، وقد عُرِف بأنّ هذا ليس من كلام النبى ﷺ أعلم هؤلاء بالإسلام ابن عربى فقال : « ما لا بد للمريد منه ، وكذلك جاء فى السُنّة : « كان اللّه ولا شىء معه » قال : وزاد العلماء : « وهو الآن على ما عليه كان » ، ولم يرجع إليه من خلقه العالم وصف لم يكن عليه ولا عالم موجود ، فاعتقد فيه من التنزيه مع وجود العالم ما يعتقده فيه ولا عالم ولا شىء سواه » .

• كلام الجهمية وأهل السُنّة فى حديث : « كان اللّه ... » إلخ:

وهذا الذى قاله هو قول كثير من أهل القِبلة . ولو ثبت على هذا لكان قوله من جنس قول غيره . لكنه متناقض ، ولهذا كان مقدم الاتحادية الفاجر التلمسانى يرد عليه فى مواضع يقرب فيها إلى المسلمين ، كما يرد عليه المسلمون المواضع التى خرج فيها إلى الاتحاد ، وإنما الحديث المأثور عن النبى ﷺ ما أخرجه البخارى ومسلم عن عمران بن حصين عن النبى ﷺ أنه قال : « كان اللّه ولم يكن شىء قبله ، وكان عرشه على الماء ، وكتب فى الذكر كل

شيء ، ثم خلق السموات والأرض » ، وهذه الزيادة الإلحادية ، وهى قولهم : « وهو الآن على ما عليه كان » ، قصد بها المتكلمة المتجهمة نفى الصفات التى وصف بها نفسه من استوائه على العرش ونزوله إلى السماء الدنيا ، وغير ذلك فقالوا : كان فى الأزل ليس مستوياً على العرش ، وهو الآن على ما عليه كان ، فلا يكون على العرش لما يقتضى ذلك من التحول والتغير ، ويجيبهم أهل السُنَّة والإثبات بجوابين :

أحدهما : أنَّ المتجدد نسبة إضافية بينه وبين العرش بمنزلة المعية ويسميها ابن عقيل « الأحوال » ، وتجدد النسب والإضافات متفق عليه بين جميع أهل الأرض من المسلمين وغيرهم . إذ لا يقتضى ذلك تغيراً ولا استحالة .

والثانى : أنَّ ذلك وإن اقتضى تحولاً من حال إلى حال ، ومن شأن إلى شأن ، فهو مثل مجيئه وإتيانه ونزوله . وتكليمه لموسى وإتيانه يوم القيامة فى صورة ... ونحو ذلك مما دلت عليه النصوص . وقال به أكثر أهل السُنَّة فى الحديث . وكثير من أهل الكلام وهو لازم لسائر الفِرق . وقد ذكرنا نزاع الناس فى ذلك فى قاعدة الفرق بين الصفات والمخلوقات والصفات الفعلية ، وأما هؤلاء الجهمية الاتحادية فقالوا : « وهو الآن على ما عليه كان ، ليس معه غيره كما كان فى الأزل ولا شيء معه » ، قالوا : « إذ الكائنات ليست غيره ولا سواه ، فليس إلا هو ، فليس معه شيء آخر لا أزلاً ولا أبداً ، بل هو عين الموجودات ، ونفس الكائنات » ، وجعلوا المخلوقات المصنوعات هى نفس الخالق البارىء المصوِّر ، وهم دائماً يهذون بهذه الكلمة : « وهو الآن على ما عليه كان » وهى أجَلُّ عندهم من ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [1] ، ومن آية الكرسى ، لما فيها من الدلالة على الاتحاد الذى هو إلحادهم ، وهم يعتقدون أنها ثابتة عن النبى ﷺ وأنها من كلامه ومن أسرار معرفته ، وقد بيَّنا أنها كذب مختَلق ، ولم يروها

---

(١) الإخلاص : ١

أحد من أهل العلم ولا فى شىء من دواوين الحديث . بل اتفق العارفون بالحديث على أنها موضوعة ، ولا تُنقل هذه الزيادة عن إمام مشهور فى الأمة بالإمامة ، وإنما مخرجها ممن يُعرف بنوع من التجهم ، وتعطيل بعض الصفات ، ولفظ الحديث المعروف عند علماء الحديث الذى أخرجه أصحاب الصحيح : « كان اللّه ولا شىء معه ، وكان عرشه على الماء ، وكتب فى الذكر كل شىء » وهذا إنما ينفى وجود المخلوقات من السموات والأرض . وما فيهما من الملائكة والإنس والجن . لا ينفى وجود العرش .

● حديث : « أول ما خلق اللّه القلم » ، وحديث : « كان فى عَمَاء » :

ولهذا ذهب كثير من السَلَف والخَلَف إلى أنّ العرش متقدم على القلم واللوح ، مستدلين بهذا الحديث ، وحملوا قوله : « أول ما خلق اللّه القلم فقال له : اكتب ، فقال : وما أكتب ؟ قال : اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة » على هذا الخلق المذكور فى قوله : ﴿ وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ ﴾ (١) ، وهذا نظير حديث أبى رزين العقيلى المشهور فى كتب المسانيد والسُنَن أنه سأل النبى ﷺ فقال : يا رسول اللّه ، أين كان ربنا قبل أن يخلق خلقه ؟ فقال : « كان فى عماء ، ما فوقه هواء وما تحته هواء » فالخلق المذكور فى هذا الحديث لم يدخل فيه الغمام ، وذكر بعضهم أنّ هذا هو السحاب المذكور فى قوله : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ الْغَمَامِ ﴾ (٢) وفى ذلك آثار معروفة .

● بطلان زيادة : « وهو الآن على ما عليه كان » :

والدليل على أنّ هذا الكلام - وهو قولهم : « وهو الآن على ما عليه كان » - كلام باطل مخالف للكتاب والسُنّة والإجماع والاعتبار وجوه :

---

(١) هود : ٧ (٢) البقرة : ٢١٠

أحدها : أنَّ اللّه قد أخبر بأنه مع عباده فى غير موضع من الكتاب عموماً وخصوصا مثل قوله : ﴿ هُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى العَرْشِ ﴾ ... إلى قوله : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴾ (١)، وقوله : ﴿ مَا يَكُونُ من نَجْوَىٰ ثَلاثَةٍ إلَّا هُوَ رَابِعُهُم ﴾ ... إلى قوله : ﴿ أَيْنَ مَا كَانُواْ ﴾ (٢) ، وقوله : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَالَّذِينَ هُمْ مُّحْسِنُونَ ﴾ (٣) ، ﴿ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴾ (٤) فى موضعين ، وقوله : ﴿ إِنَّنِى مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴾ (٥) ، ﴿ لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ﴾ (٦) ، ﴿ وَقَالَ اللَّهُ إِنِّى مَعَكُمْ ﴾ (٧) ، ﴿ إِنَّ مَعِىَ رَبِّى سَيَهْدِينِ ﴾ (٨) ، وكان النبى ﷺ إذا سافر يقول : « اللّهم أنت الصاحب فى السفر والخليفة فى الأهل ، اللّهم اصحبنا فى سفرنا واخلفنا فى أهلنا » .. فلو كان الخلق عموماً وخصوصاً ليسوا غيره ولا هم معه بل ما معه شيء آخر امتنع أن يكون هو مع نفسه وذاته ، فإنَّ المعية توجب شيئين كون أحدهما مع الآخر ، فكما أخبر اللّه أنه مع هؤلاء امتنع علم بطلان قولهم : « هو الآن على ما عليه كان » لا شيء معه . بل هو عين المخلوقات ، وأيضاً فإنَّ المعية لا تكون إلا من الطرفين ، فإنَّ معناها المقارنة والمصاحبة ، فإذا كان أحد الشيئين مع الآخر امتنع ألا يكون الآخر معه ، فمن الممتنع أن يكون اللّه مع خلقه ولا يكون لهم وجود معه ولا حقيقة أصلاً بل هم هو .

الوجه الثانى : أنَّ اللّه قال فى كتابه : ﴿ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّه إِلٰهاً آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِى جَهَنَّمَ مَلُوماً مَّدْحُوراً ﴾ (٩) ، وقال تعالى : ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ

---

(١) الحديد : ٤ (٢) المجادلة : ٧ (٣) النحل : ١٢٨

(٤) البقرة : ٢٤٩ (٥) طه : ٤٦ (٦) التوبة : ٤٠

(٧) المائدة : ١٢ (٨) الشعراء : ٦٢ (٩) الإسراء : ٣٩

obeikandl.com

إلٰهاً آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ المُعَذَّبِينَ ﴾ (١) ، وقال : ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللّٰهِ إلٰهاً آخَرَ لَآ إلٰهَ إلَّا هُوَ ، كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إلا وَجْهَهُ ﴾ (٢) ، فنهاه أن يجعل أو يدعو معه إلهاً آخر ، ولم ينهه أن يثبت معه مخلوقاً ، أو يقول : إنَّ معه عبداً مملوكاً أو مربوباً فقيراً ، أو معه شيئاً موجوداً خلقه ، كما قال : ﴿ لَا إلٰهَ إلَّا هُوَ ﴾ (٣) ولم يقل : لا موجود إلا هو ، ولا هو إلا هو ، ولا شئ معه إلا هو ، بمعنى أنه نفس الموجودات وعينها . وهذا كما قال : ﴿ وَإلٰهُكُمْ إلٰهٌ وَاحِدٌ ﴾ (٤) فأثبت وحدانيته فى الألوهية ولم يقل إنَّ الموجودات واحد ، فهذا التوحيد الذى فى كتاب اللّٰه هو توحيد الألوهية وهو أن لا تجعل معه ولا تدعو معه إلهاً غيره ، فأين هذا من أن يجعل نفس الوجود هو إياه ، وأيضاً فنهيه أن يجعل معه أو يدعو معه إلهاً آخر دليل على أنَّ ذلك ممكن كما فعله المشركون الذين دعوا مع اللّٰه آلهة أخرى .

فهذه النصوص تدل على أنَّ معه أشياء ليست بآلهة ، ولا يجوز أن تُجعل آلهة ولا تُدعى آلهة ، وأيضاً فعند الملحد يجوز أن يعبد كل شيء ويدعى كل شيء إذ لا يُتصور أن يعبد غيره فإنه هو الأشياء ، فيجوز للإنسان حينئذ أن يدعو كل شيء من الآلهة المعبودة من دون اللّٰه ، وهو عند الملحد ما دعا معه إلهاً آخر ، فجعل نفس ما حرَّمه اللّٰه وجعله شِركاً جعله توحيداً ، والشِرك عنده لا يُتصور بحال .

الوجه الثالث : أنَّ اللّٰه لما كان ولا شيء معه لم يكن معه سماء ولا أرض ولا شمس ولا قمر ، ولا جن ولا إنس ولا ذوات ولا شجر ولا جنة ولا نار ولا جبال ولا بحار . فإن كان الآن على ما عليه كان ، فيجب أن لا يكون معه شيء من هذه الأعيان ، وهذا مكابرة للعيان ، وكفر بالقرآن والإيمان .

---

(١) الشعراء : ٢١٣ (٢) القصص : ٨٨

(٣) البقرة : ١٦٣ (٤) البقرة : ١٦٣

الوجه الرابع : أنَّ اللّه كان ولا شيء معه ثم كتب في الذكر كل شيء كما جاء في الحديث الصحيح ، فإن كان لا شيء معه فيما بعد فما الفرق بين حال الكتابة وقبلها ، وهو عين الكتابة واللوح عند الفراعنة الملاحدة ؟

* * *

فصل

في قولهم بإيمان فرعون وأنه لا يدخل النار وتحريفهم الآيات فيه

وزعمت طائفة من هؤلاء الاتحادية الذين ألحدوا في أسماء اللّه وآياته أنَّ فرعون كان مؤمناً وأنه لا يدخل النار ، وزعموا أنه ليس في القرآن ما يدل على عذابه بل فيه ما ينفيه كقوله : ﴿ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴾ (١) قالوا : فإنما أدخل آله دونه ، وقوله : ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ ﴾ (٢) قالوا : إنما أوردهم ولم يدخلها ، قالوا : ولأنه قد آمن أنه لا إله إلّا الذي آمنت به بنو إسرائيل ، ووضع جبريل الطين في فمه لا يرد إيمان قلبه .

وهذا القول كفر معلوم فساده بالاضطرار من دين الإسلام لم يسبق ابن عربي إليه فيما أعلم أحد من أهل القبلة ولا من اليهود ولا من النصارى ، بل جميع أهل الملل مطبقون على كفر فرعون . فهذا عند الخاصة والعامة أبين من أن يُستَدل عليه بدليل ، فإنه لم يكفر أحد باللّه ويدعى لنفسه الربوبية والإلٰهية مثل فرعون ، ولهذا ثنّى اللّه قصته في القرآن في مواضع ، فإنَّ القصص هي أمثال مضروبة للدلالة على الإيمان ، وليس في الكفار أعظم من كفره ، والقرآن قد دلّ على كفره وعذابه في الآخرة في مواضع :

أحدها : قوله تعالى في القصص : ﴿ فَذَانِكَ بُرْهَانَانِ من رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِه ، إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ﴾ ... إلى قوله : ﴿ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً ، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴾ (٣) فأخبر سبحانه

(١) غافر : ٤٦ (٢) هود : ٩٨ (٣) القصص : ٣٢ - ٤٢